متعة العمل والإنجاز مع الرشيد

أ. صالح بن عبد العزيز الحميدي

لم يكن أنموذج العمل مع معالي الوزير أ. د محمد بن أحمد الرشيد عاديّاً بل فريداً، حيث كان العمل شغله الشاغل صباح مساء، وهو حاضر وقريب من زملائه في الوزارة والمناطق التعليمية، يشرف ويوجه، ويأخذ ويعطي بقيادة واعية وثقة كبيرة في من يعمل معه وعلاقات إنسانية نادرة، فلقد شجع وأثنى، ووعد فوفّى، طالب زملاءه بالاهتمام بالعمل، وهو يتكفل بشؤون وظائفهم وتقدير عملهم وترقياتهم ووفّى فعلاً وحقاً فهو قريب من كل زملائه، حتى صار بلا مبالغة كل منهم يعدّه الأقرب له ولعمله . فيا لها من خصال حميدة يجدر أن تتمثل في كل مسؤول يهتم بعمله وبتطويره، فالاهتمام بالقائمين على العمل اهتمام حقّاً بالعمل ذاته وسبيل لتحقيق أهدافه على أفضل وجه.

كان يجوب المناطق شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً في عمل ميداني دؤوب ولقاءات تربوية يرافقه مسؤولو القطاعات يلتقون مع العاملين في الميدان يحاورهم ويحاورونه بروح القائد المتفائل وبأسلوب العامل بروح الفريق الواحد: يتخذ قرارات ميدانية على أرض الواقع، فالهمة عالية، والطموح كبير، والشعور بالمسؤولية حاضر لدى الجميع، وهذه سمات نجاح العمل التي ينبغي ألا تبارح القيادات المميزة.

العمل مع أبي أحمد فيه متعة وإنجاز، ويجوز القول: إن قيادته من السهل الممتنع، فهو لطيف وقريب جدّاً، ولكن لا يسمح بالتهاون في العمل، فالتأخر على سبيل المثال عن بدء الاجتماع الأسبوعي الذي يبدأ الساعة الثامنة صباح كل أربعاء طوال عمله وزيراً ليس

المدير العام للشؤون المالية والإدارية بوزارة التربية والتعليم سابقاً، عضو مجلس الشورى.

لـه مكان عنده، ولا يقبله مطلقاً تراه يضع اللطف جانباً، ويتصرف بحزم، يقول: لا يمكن مكافـأة المتأخـر بالتأخر عن بدء الاجتماع في وقته ولو بدقيقة واحدة؛ ولذا تجد أعضاء الاجتماع حضوراً من بداية الاجتماع.

وللإيضـاح عـن تلـك السمـات الإدارية التـي يتمنى كل مـن تعامل معهـا أن تنداح دائرتهـا فـي إداراتنـا أورد هنا مواقـف في العمل تمثـل أنموذج قيادة أبـي أحمد، تذكر فتشكـر، وفيها ما يفيد كل باحـث عن التطوير في القيـادة والإدارة والعلاقات الإنسانية والمواطنة قيادة ملؤها الثقة والتفاؤل والأمل، وفيها منح الصلاحيات والاهتمام بالإنجاز والشعـور بالمسؤولية، والمرونة فـي غير ضعف، والحزم في غير عنف، ويتوّجها الحرص علـى الصالح العام ومصلحـة الفرد والمجتمع، أذكر منها باختصار على سبيل المثال لا الحصر أربعة مواقف تحضرني في هذه المناسبة:

الموقف الأول:

توظيف الخريجين:

تـم توظيـف تسعـة آلاف (٩٠٠٠) من خريجي كليـات المعلمين عـام ١٤٢٥هـ، وهو العام الذي كلفت فيه بالإشراف على الشؤون المالية والإدارية بالوزارة بفروعها الثلاثة: البنين والبنات (بعد ضم رئاسة تعلم البنات إليها) وكليات المعلمين والمعلمات.

والشاهد في هذا الموقف أنه أمام تخرج عدد من أبنائنا الخريجين وحاجتهم للعمل وحاجـة الميدان لهم فـي الوقت نفسه لا يوجد وظائف، بينما تـم توزيعهم على المناطق وبعضهـم ذهب فعلاً ليباشر، ولم يبقَ على العام الدراسى إلا ثمانية أيام فقط، وبدراسة الموضـوع معه طلـب مني باهتمامه المعهود ضـرورة إيجاد حل سريـع لمعالجة الوضع، ففكرنا في تعيينهم على بند محو الأمية وفيه مخالفة، وفى اليوم التالي راجعنا الاقتراح، وقلـت له: يا أبا أحمد، وجدت أن هناك حلّاً أقل تجاوزاً وبأخف الضررين كما يقال، وهو أن نأخـذ بحـل الاستفادة من وظائـف المتعاقدين (من الإخوة غيـر السعوديين) ونعين عليهـا الخريجين السعوديين للضـرورة، ونبحث مع وزارة الماليـة معالجة وضع إخواننا

المتعاقدين، فوجدت منه الدعم والتأييد قائلاً: توكل على الله، وبالفعل تم إعداد مذكرة إلى وزارة المالية التي أحالتها بدورها لهيئة الرقابة والتحقيق، وصدر حكم من الهيئة بإجازة التجاوز للمصلحة العامة.

الموقف الثاني:

برنامج العلوم والرياضيات:

استدعاني أبو أحمد ذات يوم، وقال لي: هناك مشروع للعلوم والرياضيات في وزارة المالية تأخر علينا ومطلوب له مليار ريال، وهذا المشروع من أفضل المناهج العالمية في العلوم والرياضيات، وأبناؤنا ومدارسنا في حاجة ماسة للتطوير في تعليم المادتين ومن الضروري متابعته من قبلك والتفاهم مع الجهة المختصة بوزارة المالية لإجازته. وقلت له: أنا لا أعرف عن هذا المشروع شيئاً يمكنني من الدفاع عنه، فاستدعى سعادة وكيل الوزارة، وقال: أرجو أن تشرح للأستاذ صالح وضع المشروع، وما وصل إليه، فتوجهت اليوم التالي إلى وزارة المالية، وبحثت مع المختصين الموضوع، وقالوا: إن المبلغ مرتفع، فذكرت لهم أن تكلفة طباعة كتب الرياضيات والعلوم من الصف الأول الابتدائي إلى الصف الثالث الثانوي لعشر سنوات أكثر من نصف مليار ريال، ونتنازل عن ٢٠٪ من عدد الكتب الاحتياطي وقيمتها خلال المدة مائتا مليون ريال والباقي يتم إجراء المناقلة له خلال الأعوام القادمة، وفعلاً تم عمل محضر بذلك، وبعد ثلاثة أيام وفي الساعة الحادية عشرة مساءً اتصل بي أبو أحمد يبشرني بأن وزارة المالية وافقت على المحضر، وتم ذلك بتوفيق الله ثم بثقة القائد واهتمامه ومتابعته.

الموقف الثالث:

مشروع مبنى الوزارة الجديد على طريق الملك عبدالله:

طلب مني معالي الوزير د. الرشيد الذي يحلو له دائماً أن يُدعَى (أبو أحمد) بعيداً عن المسميات الأخرى التركيز في الميزانية عام ١٤٢٦هـ على مبنى الوزارة الجديد

الـذي يقع على طريق الملك عبـدالله، وهو العام الذي غادر فيه الـوزارة (١٤٢٥/١٢ هـ) وبالفعل عند المناقشة مع وزارة المالية تم بحث موضوع المبنى، وكان التجاوب في البداية سلبيّـاً بالرغم مـن إيضاح ضـرورة المبنى الواحد ليجمـع شتات الوزارة بعـد أن تم ضم تعليـم البنات إليها، وبمتابعته طلب منـي مقابلة معالي وزير المالية بعد تنسيقه مع معاليه لشرح حاجة الـوزارة وموقفها، وبالفعل تمت مقابلة معالي وزير المالية الذي طلب التنازل عـن جـزء من الأرض لمصلحـة عامة مقابل اعتمـاد المبلغ، فوافق أبو أحمـد، وكان يقول لـي: (وكان معنا بالاجتمـاع المهندس عبدالله الفوزان وكيل الـوزارة للمباني المدرسية): «المبنـى للدولة والأرض للدولة نأخذ الاعتماد، ونطالب بالأرضـ إذا احتجنا إليها». وعند كتابـة هـذه السطور والمبنـى على وشك الانتهـاء ولله الحمد، كتب الله لأبـي أحمد الأجر والمثوبة لدفاعه بحكمة عن مصلحة الوزارة ومنسوبيها بجهده الذاتي وعلاقاته الشخصية ومكانتـه الاجتماعية. ومما يقع في هـذا الإطار مشروع الملـك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبيـن (موهبـة) الذي استقطب له مـن المجتمع ما يزيد على أربـع مئة مليون ريال، إضافة إلى مبناه الرئيس القائم حاليّاً بشارع الأمير تركي الأول بالرياض، الذي أسهم فيه نخبة من أبناء المجتمع جزاهم الله خيراً.

الموقف الرابع:

الانتقال إلى وزارة الصحة:

طلـب معالي وزيـر الصحة د. حمد المانع من د. محمد الرشيد انتقالي وكيلاً لوزارة الصحة للشؤون الإدارية والمالية، فوافق مبدئيّاً، وبعد عشرة أيام عند ورود خطاب وزارة الصحـة بدأ أبو أحمد كعادته بمزيد من الاستشارات ممن يعرف عملي، حيث كنت أعمل بالرئاسـة العامة لتعليم البنات مديراً عامّاً للشؤون المالية والإدارية قبل ضمها للوزارة، وكان المشـرف عليها بعـد الضم معالي الدكتـور خضر القرشي النائـب لتعليم البنات، وبعـد معرفة بعض الزمـلاء وعلى رأسهم الدكتـور محمد العصيمي أكـد لأبي أحمد أن ذهـاب الأستاذ صالح خسارة كبيـرة على الوزارة، فلم يتوانَ أبـو أحمد، بل اتصل علي،

وقـال: أريدك بجدة هـذه الليلة، وذهبت إليه، وجلسنا إلى وقـت متأخر من الليل أقنعني بالبقاء، قائلاً: إن أخي الكريم د. حمد المانع يريد مصلحة وزارته، وما حسب أنه «يعمي عينـاً أرى بهـا»، فأنا عدلت عـن الموافقة، فقلت له: كما تريـد، وأردف قائلاً: أنا سأرفع لـك بالمرتبة الخامسة عشرة، فأرجوك اعذرني، قلت له: أبشر يا أبا أحمد، وبفضل الله وتوفيقه تحقق ما قاله، وما أراده.

هذه الملامح القياديـة والوقفات الإدارية والتفاعل بين الرئيس والمرؤوس ومتابعة العمـل متابعة مستمرة صباحـاً ومساءً باهتمام بالغ وبقوة، كم نحـن في حاجة إليها في وزاراتنـا وإداراتنا ومؤسساتنا لكي يجد الموظف ذاته في عمله، ويستمتع به، ويبدع فيه، فعندما يُمنح الثقة والتقدير تبرز قدراته الكامنة وإمكاناته، ويزيد انتماؤه وحبه لعمله.

وختامـاً، فأبـو أحمد بحـق مدرسة فـي القيادة والإنجـاز وفى العلاقـات الإنسانية والأخـلاق الحسنة والوفاء وفى التواضـع وحسن التعامل، فحـريٌّ بأنموذجه المتميز أن ينشر، ويحتذى.

والله الموفق.